عبدُ الله بن عبد العزيز

في حديثٍ شاملٍ.. قبل الزيارة

رغبتي في لقاء المسئولين في دول الخط الأمامي..
لا يعادلها سوى رغبتي في معايشةٍ روحيّة للمواطنين في الأقطار الأماميّة

● كتب رئيس تحرير جريدة « الرياض » الزميل : تركي السديري ●

الدور الذي تلعبه المملكة في دعم دول المواجهة وفي تحقيق صيغة نضالية لمجموعة التضامن العربي تواجه الرأي العام الدولي، وتمارس ضغوطها على الدول الكبرى .. هو دور أصبح يطرح واقعه في المحافل الدولية ويعطي نتائجه في الساحة العربية . وصاحب السمو الملكي الامير عبدالله بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني أحد الكفاءات القيادية التي تصنع هذا الدور وترسخه ، وسيقوم سموه بزيارات هامة لدول المواجهة. وقبل مباشرة سموه لمهمته الحيويه والهامة كان «للرياض» هذا الحديث الشامل مع سموه .

س ـ علمنا بأن سموكم الكريم ستقومون قريبا بزيارات رسميه لكل من مصر وسوريا والاردن ، ونظرا لما لسموكم من مكانه في المملكة العربية السعوديه وما عرف عنكم من اهتمام ماض وحاضر بالشئون العربيه ، فهل لسموكم ان تتفضلوا باطلاعنا على بعض أهداف هذه الزيارات التي تعتزمون القيام بها ، ولاسيما ان المنطقه العربيه بأكملها تتجه اليوم نحو منعطف تاريخي حاسم قد يقرر مسارها ، ان لم أقل مصيرها ، لعدة عقود من السنين ؟.

ج ـ لاخلاف في ان ارهاصات حقبة تاريخية جديدة تبتدى بوضوح في أجواء المنطقة العربيه وقد تكون هذه الحقبه ، هي الحقبه الفاصله في تاريخنا الحديث . فخلالها سيتقرر ، ـ كما أرى ـ مصيرنا كأمة لامسارنا كدول تشظت من أمه.

ومع ادراكي الكامل لطبيعة الظروف الدوليه المحيطه بنا ، وتقديري الدقيق لخطورتها ، ومعرفتي بأسبابها لابل بمنابعها غير انني مع ذلك كله لوطيد الثقه من أن الامة العربية هي وحدها التي تملك ان تقرر نتائج تلك الحقبه . ان خيرا او شرا لاسمح الله . فالامم لاتنتصر او تهزم نتيجة لعوامل خارجيه

بل نتيجة لعوامل داخليه . او بالاحرى ذاتية محضه . ولذلك فان رغبتي في لقاء المسئولين . في دول الخط الامامي لايعادلها سوى رغبتي في معايشه روحيه المواطنين في أقطارنا الاماميه .

فحربنا ضد الصهيونية جعلت من مصر وسوريا والاردن الخط الامامي للدفاع عن الامة العربيه في شتى أقطارها . الامر الذي يؤكد قدرنا الواحد ومصيرنا المشترك ..

التضامن العربي فعلا

س ـ مما ورد في جواب سموكم الانف الذكر، وماعرف عن سموكم من روح عربيه أصيلة ، يجعلنا نسأل سموكم عما ترونه من مدخل سليم للامه العربية الى تلك الحقبة التاريخيه التي تنعطف نحوها الان ؟.

ج ـ لقد أوضح جلالة مولاي الملك المعظم ، وسمو ولي عهده الامين ، اكثر من مرة ان مدخلنا الى المرحلة الحاليه هو التضامن العربي قولا وفعلا وان وحدة الصف العربي هي سبيلنا الوحيد الى الاستجابه للتحديات ، والانتصار عليها . وقد آن لنا ان ندرك أن الشرط الاول والاخير لتحقق التضامن العربي هو ان تستقطب مصلحة الامة جميع الانظمة لا أن تسعى الانظمة لاستقطاب ذواتها على حساب الامة . ومثل ذلك الشرط لن يتوفر مالم نخرج من متاهات كل ايدلوجيه تفرق ولاتجمع . فالايدلوجيات التي عانيناها كانت عاملا رئيسيا في تمحور الذات بدلا من تمحور الامه .

ولكي نخرج من تلك المتاهات يتوجب علينا ان ننهل من منابعنا الصافيه الماثلة في الاسلام كنظام اجتماعي ثبتت عدالته في كل ميدان ومجال . فجدلية الاسلام هي وحدها القادرة على تحقيق الوحدة الضميريه للامه وهذه الوحدة الضميريه هي المرتكز الوحيد لكل وحدة .. وسواء أكانت وحدة كلمه أو وحدة صف ، أو تضامنا .

فلسطين .. والتخلف

س ـ ماراي سموكم في منهج السياسة العربيه اليوم . ولا سيما في معالجة قضية فلسطين والصهيونيه ؟.

ج ـ من الخطأ ان نعتقد أن مشكلة فلسطين هي علة ، انها معلول نشأ عن علل التخلف الذي تجاهد الامة العربيه للقضاء عليه ، وستقضي حتما عليه ، ـ ان شاء الله ـ فالتخلف هو العقبة الكؤود في طريق تجسد الامة حقيقة وفاعليه ، عقلا وارادة . وان القضاء على التخلف لايتم بقرارات او مراسيم او قوانين ولا حتى بدساتير أو ايدلوجيات بل يتحقق بهدى عقل نير بناء يستخدم ارادة لاتتحول الى هوى أو نزوة ، انه العقل الفاعل الذي ينفي العامل الذاتي ويثبت الواجب الموضوعي ولا تراوده بتاتا أحلام اليقظه ، أو أوهام الغرور .

فاسرائيل لم تنشأ ولم تقم نتيجة لقواها الذاتيه ولا حتى نتيجة للقوى الخارجيه من صهيونيه وسواها بل نتيجه لمرحلة التخلف التي بدأنا بتجاوزها الان . وانني أقولها بصراحة باننا لو وظفنا خلال الثلاثين سنه الماضيه من جهود الامة العربيه في محاربه التخلف ، اكثر مما وظفناه في محاربة الصهيونيه والصراعات الدوليه لما كان عندنا الان قضية فلسطينيه . ولامشكلة صهيونيه ولايغرب عن البال ان بناء الامة من خلال المواطن هو الاساس لبناء كل مؤسسه عسكريه كانت أم اقتصاديه ام اجتماعية .

العلم .. والوحدة

س ـ ماهو في رأي سموكم ايسر السبل للقضاء على التخلف ؟..

ج : العلم ، واعني به العلم الذي يضرب جذوره في تراث امتنا ولا يحاول ابدا اجتثاث جذور تراثنا . ولعلك لاحظت ان اضخم ميزانية في ميزانيتنا العامة ، بعد ميزانية القوات المسلحة هي ميزانية وزارة المعارف ووزارة التعليم العالي ومن ثم السير باتجاه الوحدة وفقا لمنهاج واقعي يتعامل والحقائق الموضوعية القائمة ولا يترك للاحلام الرومانتيكية ان تجمح او تجنح به . فالوحدة هي نظام عضوي والانظمة العضوية تنشأ وتقوم نتيجة لعملية نمو محض ، وليس نتيجة فرض او اكراه ولنا في الامم المعاصرة التي حققت وحدتها السياسية خير قدوة ومثل .

ولا يخفى ان ثمة تيارا وحدويا يدفع اليوم بركب الانسانية . فالسوق الاوروبية المشتركة ما هي سوى مرحلة من مراحل تحقق الولايات الاوروبية المتحدة التي حلم بها نابليون منذ قرابة قرنين من الزمن ولا خلاف ان حافز الدول الاوروبية الى الوحدة هو حافز اقتصادي صرف .

ونحن نرى ان هذا الحافز وحده له من القوة في الدول المتطورة ما يجعل تلك ، على الرغم من اختلافها قومية ولغة وتاريخا وتراثا ، تتجاوز الان جميع هذه الفوارق الى تجسيد وحدتها السياسية بينما ان للامة العربية اكثر بكثير من ذاك الحافز الاقتصادي ان لها حافزا روحيا صرفا نابعا من عقيدتها وتاريخها وتراثها بالاضافة الى لغتها الواحدة . ولذلك فاننا اذا ما عرفنا اطلاق زخوم تلك الحوافز وتوجيهها الوجهة الصحيحة على ضوء المنظور التاريخي الموفق بين الواقع والامل ، اي ان تحول تطلعاتنا من شعارات الى افعال لا انفعالات ، فعندئذ تصبح الوحدة يسيرة المنال قريبة المجال ، أما من اين نبدأ فهذا الامر باعتقادي واضح تماما كما قلت انفا نبدأ من التضامن العربي الذي جاءت الجامعة العربية منذ الاربعينات لتكون اطاره . وانني اعتقد ، لا بل اؤمن بان في ميثاق الجامعة العربية الكثير من المبادىء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصالحة لتكون قواعد انطلاق صحيحة نحو الوحدة .

لا أزال مواطنا

س : هل تصوراتكم هذه تحكم سلوككم كمسؤول أم كمواطن ؟

ج : انني قبل ان اصبح مسؤولا ، كنت ولا ازال مواطنا والمسؤولية لم تكن لتسلخ المرء من مواطنيته بل على العكس من ذلك تماما . فانها ترهف حس المواطنية فيه وتصقل من جواهر قيمه ، فكل مواطن مسؤول وسواء أكان يشغل منصبا حكوميا ام لا يشغل . ولذلك فان من اهم تصوراتي لا بل طموحاتي ، كمواطن ومسؤول هو ايقاظ روح المسؤولية في كل مواطن وتدعيم هذه الروح فالمسؤولية وحدها هي التي تحدد الخط الفاصل بين حق المواطن وواجبه وبذلك تحدد المفهوم الاساسي للحرية

س : ما توقعات سموكم لمستقبل هذه الامة .

ج : انني متفائل بمستقبل أمتي . وتفاؤلي هذا لا ينبع بتاتا من الرضاء عن الذات ، بل ينبع من معرفتي بامكانات امتي الروحية والمادية ، وبنفسيتها وتاريخها ، الذي يقدم لنا اروع الامثلة على صمودها أمام سلسلة هائلة من الكوارث والصدمات وطوال ثلاثة عشر قرنا او يزيد . فالامة التي تستطيع ان تحافظ على هويتها ورسالتها طوال تلك القرون ، وتستطيع على الرغم من النوازل ان تمتص وتهضم وتتمثل شعوبا شاء القدر ان يكونوا نتيجة للانحراف أشد منها شكيمة كما كانت الحال في العصور العباسية ، لهي امة تشبع التفاؤل حتى في اشد النفوس تشاؤما .

أما المستقبل فلا يستطيع اي جيل ان يحدد جازما خط سيره . فهذا الخط هو ملك الاجيال فقد تضطر الظروف جيلا ان ينقض كليا ما أقره سابق جيله . وقد يحقق جيل ما عجز عن تحقيقه من سبقه . او قد يبدد جيل لاحق ما جمعه جيل سابق . لذلك فانني ارى ان جيلنا اذا استطاع ان يحافظ للامة في هذه المرحلة على منطلقاتها السليمة فانه يكون قد حقق انجازا تاريخيا رائعا بعد خروجنا من المتاهات . ولن تبلغ مثل هذا الهدف الا من خلال وعي الامة لامالها والامها على ضوء رسالتها التاريخية الماثلة في صفاء الاسلام .

والدنا المغفور له الملك عبد العزيز بهذه القواعد وما تمثله تنشئة واخلاقا وممارسة ولذلك وجدتني عندما اصبحت رئيسا للحرس الوطني اعيش حياة عشتها في كنف والدي ووجدت اجواء الشيم العربيه تشيع المناخ الصحي المطلوب ، المناخ المبارك فيه للانسان ، انه متانة العقيدة وصفاء النية وبساطة العيش واستقامة الخلق وقوة الشكيمة . وهذه الفضائل هي دائما أمة معطاءة للتراث الانساني لا امة مبددة لهذا التراث . وقد فطن مؤسس الدولة السعودية الحديثة الملك عبد العزيز الى هذا الخطر خطر استبدال النخوة بالنفعية واعتبار الشهامة والنجدة والكرم امورا تدخل في باب الموازنة بين الارباح والخسائر المادية .

لذلك ترى ان سياسة المملكة فالامة الحضارية هي دائما

شرط التضامن: هو أن تستقطب مصلحة الأمة جميع الأنظمة .. لا أن تسعى الأنظمة لاستقطاب ذواتها على حساب الأمّة

إنه إرهاصات حقبة تاريخية جديدة تبتدئ بوضوح .. وقد تكون هي الحقبة الفاصلة في تاريخنا الحديث .. !!

صفات الاجداد

س : ماذا كان انعكاس عملكم كنائب لرئيس مجلس الوزراء ، على نشاطكم كرئيس للحرس الوطني ؟

ج : استطيع القول بانه كان ايجابيا . فالحرس الوطني كما يعلم الجميع هو مؤسسة بالغة الاهمية من مؤسسات الدولة . ففي الحرس الوطني تتمثل قواعد شعبية عريضة من ابناء البادية والريف . وهؤلاء والحمد لله لا يزالون يتحلون بالصفات والفضائل ذاتها التي تحلى بها اجدادهم الذين رفعوا راية الاسلام . ولقد ربطنا

أمة حضارة لامدنية

س : الا يرى سموكم ان زحف المدنية الحالي سيؤدي خلال فترة زمنية قصيرة الى تحضير العشائر وهنال أسأل ايضا الا يخشى سموكم ان تختفي او بالاحرى ان تضعف قوى تلك الفضائل ؟

ج : علينا هنا ان نفرق بين المدنية والحضارة . فنحن نريد لامتنا ان تكون امة حضارة لا امة مدنية .. ففي المدنية تطغى السلبيات على الايجابيات أما في الحضارة فتتفي الايجابيات كل سلبية . لذلك يترجمها العشائر نخوة وشهامة ونجدة وكرما .

أمة حضارة لامدنية

س : الا يرى سموكم ان زحف المدنية الحالي سيؤدي خلال فترة زمنية قصيرة الى تحضير العشائر وهنال أسأل ايضا الا يخشى سموكم ان تختفي او بالاحرى ان تضعف قوى تلك الفضائل ؟

ج : علينا هنا ان نفرق بين المدنية والحضارة . فنحن نريد لامتنا ان تكون امة حضارة لا امة مدنية .. ففي المدنية تطغى السلبيات على الايجابيات أما في الحضارة فتتفي الايجابيات كل سلبية . لذلك

بدءا بعبد العزيز رحمه الله واستمرارا بجلالة الملك خالد وولي عهده أمد الله بعمريهما ، قد وجدت في العقيدة وصفائها افضل ما يصون تلك الفضائل

وينفي سلبيات المجتمع ، ويحافظ للامة على رسالتها الحضارية من خلال المحافظة على جوهرها الذي وصفه العزيز الحكيم ، حيثما قال «كنتم خير امة اخرجت للناس».

● نقلا عن «الرياض» ●